

# محمد الأشعري: أفضل ما حدث للشعر تحرره من صوت الشاعر

## الشعر يغادر كيميائه القديمة وقد لا نجده حين نطلبه



### الحياة التي ليست لغة فحسب

ومتى ما تحقق فإنه لا يشكل إنجازا كبيرا في الشعر الخاص، بل أيضا في الشعر الكوني. عدا ذلك فإن الكتابة عموما على ضوء التفكير في العالم مسألة في غاية الأهمية إذا انطلقت من قراءة المنجز العالمي واستحضاره في صوغ التجربة الخاصة. وهذا ما يسمح بإيصال صوتنا إلى الآخر، أن نكتب من تجربة مختلفة ولكن من نفس الحياة.

### غياب النقد الحر

● **الجديد:** ماذا عن نقد الشعر عربيا. هل يواكب النقد حركية الشعر العربي بما يكفي من إحاطة وكشف وتوجيه؟

● **محمد الأشعري:** لا أحب أن يُعزَى أي تقدم في حركية الشعر، للنقد. فالنقد ينفع النقد أكثر مما ينفع الشعر. سلاحظ أولا أن السائد اليوم هو الأبحاث الجامعية والدراسات الأدبية المرتبطة بها، بينما انحسرت حركة النقد "الوظيفي" إذا صح التعبير، كمواكبة للإنتاج الشعري، تعريفاً وكشفاً وجدلاً وحواراً يسمح بغزير التميز من الضحالة.

وقد ازداد هذا الانحسار خطورة، بتراجع الصحافة الأدبية وعزوف ما بقي منها عن القيام بهذا الدور. لذلك تمر بعض التجارب الجيدة دون أن يلتفت إليها أحد، وتتساوى المطبوعات الشعرية، ويلجا الكثير من الشعراء إلى تكوين "نويات" شعرية لها سيادتها التراثية وأعلامها وجيوشها التي غالباً ما تنتصر في معاركها على جبهة الفيسبوك.

اتصور أن الحيوية النقدية (وليس تناسل الأبحاث الجامعية فقط) ضرورية لتطوير الحركة الشعرية ولكن هذه الحيوية مرتبطة بديناميكية الحقل النقابي ككل وليس فقط ديناميكية الإبداع الشعري.

### لذة النص

● **الجديد:** هل يقول السرد ما لا يستطيع الشعر قوله؟

● **محمد الأشعري:** هناك أشياء أقولها في السرد وفي الشعر معا. ليس بنفس الكثافة وليس بنفس التركيب اللغوي ولكن بنفس الروح.

لدي دائماً شيء أقوله عن التجربة وعن تعلُّق السلط، وعن معجزة الحياة والتبدل. عن التفاصيل الهاربة، وعن تلك التي تعود، في اندثار الأمانة والملاحم، عن بزوغ الأشكال الجديدة للاضطراد واللامبالاة... إلخ.

أقول ذلك في الشعر عندما تكون لي طاقة التكيف والإيحاء الضرورية لذلك، وأقول ذلك في السرد عندما أحتاج إلى بناء كحايات، وإلى تفكيك العوالم المرتبطة بها وإعادة تركيبها. في كل جنس أدبي "لذة نص" خاصة به. في الكتابة كما أقرأ أحياناً أنا الذي لا أستطيع أن أقول شيئاً، في الشعر كما في السرد.

ولعل أفضل ما حدث في التجربة الشعرية العربية هو تحررها من "الصوت المهيمن" صوت "الشاعر" الذي يعلو على كل الأصوات.

هناك اليوم نوع من "الدمقرطة الشعرية" سمحت ببزوغ أصوات متعددة ومختلفة، تعيش الكتابة والحياة في محيطهما المباشر، الذي تكتب منه وليس بالضرورة من "المرجعيات الشعرية" المهيمنة، ففي العراق

وسوريا ولبنان والمغرب واليمن وفلسطين وغيرها من المجالات العربية، تجارب مفاجئة وأخرى متكررة، وكلها تساهم في بناء تراكم يتطلب القراءة المتأنية والإنصات المتبادل، وهذا التراكم هو الذي يشكل اليوم تربة لقصيدة ملتصقة بجغرافيتها وبامتكانتها الحميمية، ولكنها تسافر كثيراً وتلتقي عبر المهرجانات الشعرية والنشر الإلكتروني، بما يشد الرغبة والشك، وهما معا ضرورة قصوى لاستمرار الشعر.

ربما يحدس هذه اللوحة المتفاعلة تفشي نوع من النمطية والسهولة، وانكسار روح المغامرة والتقدم. ولكن التحرر من هذا الوضع يقتضي حدوث تحولات عميقة داخل الشعر وخارجه.

● **الجديد:** هل يقدم الشعر العربي صوتاً شعرياً مختلفاً للعالم؟

● **محمد الأشعري:** في قراءاتي "المقارنة" أكثر على الكثير من الخصوصيات في القصيدة العربية، وأيضاً على الكثير من التماثل مع القصيدة الغزبية.

قررات مؤخرًا أنطولوجية للشعر البرتغالي الحديث مترجمة إلى اللغة الفرنسية. وقد اندهشت لفرادة هذه التجربة وقوتها وتنوع أصواتها. كما اندهشت للكثافة الشعرية التي تميزها والتي نادراً ما نعرف على مثيل لها في الشعر العربي.

وقررات أيضاً كتاباً شعرياً صدر مؤخراً يضم قصائد لشعراء من الأندلس ومن المغرب (بالإسبانية والعربية) في هذه التجربة أيضاً ندرت بسهولة الخصوصية التي تنبع من لغة الكتابة ومن التجربة الشخصية والتاريخ النقابي. ولكننا ندرت أيضاً ما تسمح به "الكونية" في الشعر من تماثل التعبير والمشاعر.

بمعنى أن الصوت الخاص (ربما أكثر من الصوت المشترك) يحتاج إلى جهد كبير على مستوى البحث والكتابة.

● **محمد الأشعري:** على افتراض أن الأزمة "طارئة" في الشعر، وهي ليست كذلك، فإننا مطالبون باستبعاد التجليات الكمية للأزمة: محدودية النشر والتوزيع والقراءة، والنمطية السائدة، والتجارب المكررة، وندرة الانبعاثات الصاعدة لأصوات استثنائية.

نحن مطالبون أولاً، بإدراك التحولات العميقة التي تغير العالم من حولنا، بكل ما تعنيه من سوء فهم وعنغ واغتراب، وبكل ما تعنيه أيضاً من معجزات في إنتاج الجميل والمدهش والفارق، وفي تكثف الأزمات وتسريع الانتقالات، وفي هذا الخضم طرأت تبدلات كبيرة في علاقتنا باللغة والخيال والمشاعر.

وصار ممكناً أن نثر على عوالم شعرية مركبة تبعاً لتعدد التعبيرات ووسائط تداولها، مثلما صار ممكناً أن نلتقي الشعر من منافذ كثيرة وغير متوقعة أن نغير صحراء شاسعة من "الغياب الشعري".

شئنا قليلاً أو كثيراً، شيئاً سطحياً أم جوهرياً، شيئاً عابراً أم مقيماً.

ما بقي على حاله هو نوع من التوتر الموجود في كل تفاوض صعب، هل نحضر في الكلمات أم حولها، هل ننسج جسراً مع الواقع أم نخرب كل الجسور، هل نركب المعنى، أم نفكك الصمت هل نكتب من داخل اللغة الواحدة، أم من داخل كل اللغات التي تخترقنا؟ هل نكتب بالتجربة أم بالانفصال عنها، هل نكتب بالتأمل أم بالمحاكاة، هل نكتب بالغبطة أم بالآلم؟

في قلب كل مغامرة شعرية، يوجد هذا التفاوض الصعب، والإبقاء عليه ضد كل يقين مهيئ، أو مكسب نهائي، هو ما يبقى على الجذوة، يُقيهاً على حالها أو يسافر بها من حال إلى حال.

أما ما تغير فقد تغير أساساً في حياة الشاعر، ثم إن بناء الرؤية الشعرية لا يتحقق خارج الزمن الذي نعيش فيه، بإعازاته العلمية والتكنولوجية، وبزعة التدمير الذاتي التي يمارسها الإنسان في الكوكب الذي يعيش فيه، وبالآلام التي تصف بشكل لا رجعة فيه بالكثيرين من سكان الأرض.

من هنا تصور أن تعدد منابع هو الذي يوفر التجربة الأولى لمجاد التجربة الشعرية، ففيها ينشأ التفاعل بين الأنا والآخر، بين المعيش والتخييل، بين التفكير والتركيب، بين الحدس والمعرفة.

لا يكفي أن ننتج المعنى في الشعر، أو البناء التجريدي، أو المجازفة اللغوية، ينبغي أن يكون ذلك ضمن الأثر الذي نحدثه بالكلمات ولكن في مساحات أوسع للغة.

● **الجديد:** لا شك أن الشعر العربي يجتاز أزمة عميقة ومتشعبة. هل توافق أولاً على أن الشعر العربي في أزمة. وكيف ترى تجلياتها وكيف الخروج منها؟

● **محمد الأشعري:** بشكل عام نحن اليوم أبعد ما نكون عن تجربة الرواد التي ابتكرت تحولاً أساسياً في الشعر العربي ليس فقط على مستوى اللغة والإيقاع ولكن بالأساس على مستوى الرؤية الشعرية.

لفترة ما، كانت هذه الطفرة الأولى مستقرة. تنوعت بأسمائها وتجاربها المختلفة. ولكنها ظلت موزعة بين "الصوت الجماعي" و"الصوت الفردي"، بين استنطاق القضايا واستدعاء الذات. وأثناء ذلك تكفل التجريب والنقد

والحوار بين التيارات الفنية والأدبية، بتأطير تحولات القصيدة العربية. من الإيقاع العروضي إلى الإيقاع الداخلي ومن تلقائية التعبير إلى الاستغلال التركيبي على القصيدة.

عموماً أعتبر أن تيار الحداثة الشعرية في الوطن العربي منذ بدايته إلى اليوم قد نجح في تغيير لغة الشعر، وبهذا المعنى فقد نجح في تغيير اللغة العربية التي استقدم إليها معجم اليومي والمجالات الحضارية المعقدة، وأوجع الاقتلاع والياس السياسي.

يعتبر محمد الأشعري من أهم شعراء المغرب المعاصرين ومن أكثرهم إنتاجاً وانتظاماً في وتيرة نشر أعماله الشعرية. من حيث الفكرة الأجيالية، الأشعري من أبرز أصوات جيل السبعينات إلى جانب عدد من الشعراء بينهم محمد بنطلحة، محمد بنيس، عبدالله راجع، المهدي أخريف، مالكة العاصمي وأحمد بلداوي. وإضافة إلى أنه كتب الرواية وقدم فيها تجربة مميزة، فقد سبق للأشعري أن كان وزيراً للثقافة في بلاده. وهنا حوار مع محمد الأشعري، إثر فوزه بجائزة الأركانة يقتره منه ومن أفاقه الشعري والإبداعي أجراه عبد الكريم الجويطي صاحب رواية "المغاربة" والمعدود اليوم واحداً من أفضل روائي المغرب.

● **عبد الكريم الجويطي**  
روائي مغربي

تحمّل سابقاً الشاعر والروائي المغربي محمد الأشعري مسؤولية وزارة الثقافة في بلاده، ضمن فريق من الوزراء الإشتراكيين، واعتبر عبوره في هذا الموقع موقفاً وذا مصداقية، ومن ثمّ أمكنه أن يساهم في جعل الثقافة في عمق المشروع التنموي الوطني، وكان له منجز جدير بالاحترام متوافق مع خياراته الفكرية والسياسية.

تميز الأشعري بحس شعري مختلف في كتابته الشعرية ظل الأساس المأثر فيه إمعانه في تسريد القصيدة حتى أنه زواج بين القصيدة والسرد القصصي والروائي، ويرجع في الخطابين معاً، إذ سبق له أن فاز بجائزة البوكر العربية عن روايته "القوس والغراشة"، وتوّج مؤخرًا في المغرب بجائزة الأركانة العالمية للشعر.

### كيمياء الشاعر

● **الجديد:** في مستهل هذا الحوار أود أن أعيد للتفكير في منابع الرؤية الشعرية للعالم وتجلياتها، أين تراها: في علاقة مع اللغة؟ أحلام الطفولة؟ عذاب الاقتلاع؟ الافتتان بالطبيعة؟ أقصد ما هي الكيمياء التي تجعل الواحد شاعرًا؟

في قلب كل مغامرة شعرية يوجد نوع من التفاوض الصعب والإبقاء عليه ضد كل يقين مهيئ أو مكسب نهائي

● **محمد الأشعري:** ليس هناك منابع قارة ونهائية. والمنبع الواحد هو في الآن نفسه منابع متعددة، ومتغيرة باستمرار. خذ اللغة مثلاً، إنها ذلك المخزون البعيد المشترك بتجلياته الكلاسيكية كما هي في الشعر العربي القديم، وبإبعاده القدسية كما هي في الذاكرة الدينية والصوفية. ولكنها أيضاً ذلك المسار المتقاطع مع "لغات" الأم، ومع الرصيد الشعري الموجود في قلب المغامرة الشعرية، ولكن خارج لغة الكتابة، ثم إنها على وجه الخصوص ذلك التحوّل العميق الذي تحدثه تحولات المجال، وتلاقح التعبيرات الفنية والأدبية، وحيوية اليومي، والحياة التي ليست لغة فحسب، ولكنها لا تكون حياة إلا إذا تجلت في اللغة.

وكذلك كل الأشياء التي أشرت إليها. فالعلاقة هي علاقة دائمة التحول. إنها حتى اليوم ما تزال بالنسبة إليّ مرتعا

● **محمد الأشعري:** بعد هذه الرحلة الطويلة مع الشعر، بعد كل هذا الوفاء، أسألك ما الذي بقي على حاله منذ أن كتبت أول جملة شعرية، وما الذي تغير؟

● **محمد الأشعري:** ما بقي على حاله هو ذلك الإحساس بالوجود في لحظة انبثاق للحياة، كذلك التي يمنحها الوجود في حضرة ظاهرة طبيعية مذهلة. (شلال أو براكين أو صحارى أو غابات) تكون أمام سخاء غامر للغة (هذه الظاهرة الطبيعية الأخرى) ولا نعرف ما إذا كنا سننال منها



الشعر تعدد أصوات وذكريات (لوحة للفنانة رندة مداح)